Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ما يلقى إلى السمع . ومنه مايحتاج إلى تنبيه على موضع التناقض ، كقول أبى نواس فى وصف الخمر .

كأنَّ بقايا ما عفَا من حبابها تفاريقُ شَيْب فى سَوادِ عِذَارِ
تردَّت به ثم انْفرى عن أديمها تفرى ليل عن بياض نهارِ

فشبه فى البيت الأول حباب الكأس بالشيب ، وذلك جائز لأن الحباب يشبه الكأس فى البياض وحده ، لا فى شيء آخر غيره ، ولكنه جعل الحباب فى البيت الثانى كالليل ، وهو الذى كان فى البيت الأول أبيض كالشيب ، والخمر التى كانت فى البيت الأول كسواد العذار هى التى صارت فى البيت الثانى كبياض النهار .

وليس فى هذا التناقض منصرف إلى جهة من جهات العذر ، لأن الأبيض والأسود طرفان متضادان ، وكل واحد منهما فى غاية البعد عن الآخر . فليس يجوز أن يوصف شيء واحد بأنه أسود وأبيض ، إلا كما يوصف الأدكن فى الألوان بالقياس إلى كل واحد من الطرفين اللذين هو وسط بينهما . فيقال عند الأبيض إنه أسود وعند الأسود إنه أبيض . وليس فيما قاله أبونواس حال توجب انصراف ماقاله إلى هذه الجهة .

ولعل قوما ما يحتجون لأبى نواس ، فيرون أن قوله « تفرى ليل عن بياض نهار » لم يرد به أسود ولا أبيض ، لكن الذى أراده إنما هو ذات التفرى ، وانحسار الشيء عن الشيء أسود كان أو أبيض ، أو غير ذلك من الألوان . ويرى قدامة أن هذه الحجة تبطل من جهات :

إحداها : أن الشاعر قد صرح بأنه لم يرد غير اللون فقط بقوله « عن بياض نهار » .

والثانية : تشبيهه الحباب بالشيب ، لأن الحباب لايشبه الشيب من جهة من الجهات غير جهة البياض .

والثالثة : أن النهار والليل ليسا شيئاً آخر غير الضياء والظلمة ، حتى يظن أن من يصف بهما يقصد شيئاً آخر ، فإن القائل مثلا فى شيء إنه قد تبرأ من شيء كما تتبرأ الشعرة من العجين ، قد يجوز أن يصرف قوله هذا على وجهين : أحدهما أن يظن أنه أراد ذات تبرؤ شيء من شيء ، ويجوز أن يظن أنه إنما أراد تبرؤ الأسود من الأبيض ، لأن فى الشعرة والعجين جسما يجوز أن يتبرأ من جسم وسواداً أو بياضا : فأما الليل والنهار فليسا غير سواد وبياض فقط ، فأما جسم فلا .